« ينتهى عند غاية هذا الشعر والهدف الذى أنشىء فى سبيله أياً كان هذا الهدف : حزباً سياسياً، أو قبيلا عربياً، أو شعباً أجنبياً، أو مذهباً حكومياً — وهذا معناه أن الشعر مهما يمكن فنه الغنائى ، يجب أن يقاس بغايته التى يجد لتحقيقها ، فيدعم حزباً ، أو يهدمه، ويؤيد حكماً أو يناهضه ، ويرضى عن نظام أو يثور عليه . وهذه الفنون الغنائية لاتكون على هذا الوضع إلا وسائل جزئية ، وظواهر فنية ، ربما لاتعنى شيئاً حقيقاً ، وإنما صنعت رموزاً وقوارص ذات أثر بعيد ، وغاية مرجوة »[1].

ومن هذا يتضح أن هذه الأغراض الشعرية التى ظلت فى صورتها التقليديه على مدى العصور لاتعنى بالرغم مما يبدو فى ظاهر الأمر من ارتباطها الوثيق بالقديم وسيرها على منواله فى امتداد طريق واحد هو طريق التقليد — أقول إن هذا لايعنى أن الشعر قد تخلف عن ركب الحياة ، أو أن المؤثرات الإسلامية الكبرى التى دفعت جوانب الحياة كلها دفعة قوية فى اتجاهات تختلف عما كانت تندفع فيها جوانب الحياة الجاهلية لم تشمل فيما اشتملت عليه ذلك الجانب الفنى من الحياة الأدبية على أساس أن التحول أو التطور فى الشعر بطىء ، أو أن الأدب لايجرى مع الحياة ويلاحق الزمن ، لأن من طبيعة الحياة السعى السريع والاندفاع ، ومن طبيعة الشعر الزحف البطىء والتردد . أقول إن الشعر فى هذه الفترة لم يكن كذلك . . ولم تكن هذه الأغراض التقليدية التى يبرز فى إطارها ويتحرك فى دوائرها . . لم تكن سلاسل من حديد يرسف الشعر فيها ، أو قيوداً فى الأسر تكبله ، لأنها فى واقع الأمر لم تكن أكثر من شكل خارجى لايملك بأى حال من الأحوال القدرة التى يستطيع بها طمس الحقيقة وإخفاء الجوهر — لأنها ليست فى واقع الأمر إلا ذلك المظهر الشكلى أو العرض الخارجي . . والعرض شىء والجوهر شىء آخر . . بل إن تلك

---

(١) راجع مقدمة الطبعة الأولى من (تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى) — الطبعة الثانية — القاهرة / ١٩٥٣ .